بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

# سورة الانفطار مكية

إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ﴿٢﴾.

﴿انفطرت﴾ انشقت.

وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴿٣﴾.

﴿فجرت﴾ فتح بعضها إلى بعض فاختلط العذب بالمالح وزال البرزخ الذي بينهما وصارت البحار بحرًا واحدًا. وروي أنّ الأرض تنشف الماء بعد امتلاء البحار فتصير مستوية. وهو معنى التسجير عند الحسن. وقرئ: فجرت بالتخفيف. وقرأ مجاهد: فجرت على البناء للفاعل والتخفيف بمعنى بغت لزوال البرزخ. نظرًا إلى قوله تعالى: ﴿لا يبغيان﴾[1] لأنّ البغي والفجور أخوان.

وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾.

بعثر وبحثر بمعنى وهما مركبان من البعث والبحث مع راء مضمومة إليهما. والمعنى: بحثت وأخرج موتاها. وقيل: لبراءة المبعثرة لأنها بعثرت أسرار المنافقين.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾.

[2]**فإن قُلْتَ:** ما معنى قوله: **﴿ما غرّك بربك الكريم﴾**؟ وكيف طابق الوصف بالكرم إنكار الاغترار به وإنما يغتر بالكريم كما يروى عن علي رضي الله عنه أنه صاح بغلام له كرّات فلم يلبه فنظر فإذا هو بالباب فقال له: ما لك لم تجبني؟ قال: لثقتي بحلمك وأمني من عقوبتك. فاستحسن جوابه وأعتقه[3]. وقالوا: من كرم الرجل سوء أدب غلمانه! **قُلْتُ:** معناه: أنّ حق الإنسان أن لا يغتر بتكرم الله عليه حيث خلقه حيًا لينفعه، وبتفضله عليه بذلك حتى يطمع بعدما مكنه وكلفه فعصى وكفر النعمة المتفضل بها أن يتفضل عليه بالثواب وطرح العقاب اغترارًا بالتفضل الأوّل، فإنه منكر خارج من حد الحكمة ولهذا قال رسول الله ﷺ لما تلاها: غرّه جهله[4]. وقال عمر رضي الله عنه: غرّه حمقه وجهله. وقال الحسن: غرّه والله شيطانه الخبيث. أي: زين له المعاصي وقال له: افعل ما شئت فربك الكريم الذي تفضل عليك بما تفضل به أوّلاً وهو متفضل عليك آخرًا حتى ورطه. وقيل للفضيل بن عياض: إن أقامك الله يوم القيامة وقال لك: ما غرّك بربك الكريم ماذا تقول؟ قال: أقول غرّتني ستورك المرخاة. وهذا على سبيل الاعتراف بالخطأ في الاغترار بالستر، وليس باعتذار كما يظنه الطماع ويظن به قصاص الحشوية. ويروون عن أئمتهم إنما قال: بربك الكريم، دون سائر صفاته ليلقن عبده الجواب حتى يقول غرّني كرم الكريم. وقرأ سعيد بن جبير: ما أغرّك، إما على التعجب وإما على الاستفهام. من قولك: غرّ الرجل فهو غارّ إذا غفل. من قولك: بيتهم العدوّ وهم غارون، وأغرّه غيره جعله غارًا.

ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾.

**﴿فسواك﴾** فجعلك سويًا سالم الأعضاء. **﴿فعدلك﴾** فصيرك معتدلاً متناسب الخلق من غير تفاوت فيه، فلم يجعل إحدى اليدين أطول ولا إحدى العينين أوسع، ولا بعض الأعضاء أبيض وبعضها أسود، ولا بعض الشعر فاحمًا وبعضه أشقر. أو جعلك معتدل الخلق تمشي قائمًا لا كالبهائم. وقرئ: فعدلك بالتخفيف وفيه وجهان: أحدهما أن يكون بمعنى المشدّد أي: عدل بعض أعضائك ببعض حتى اعتدلت، والثاني فعدلك فصرفك. يقال: عدله عن الطريق. يعني: فعدلك عن خلقة غيرك وخلقك خلقة حسنة مفارقة لسائر الخلق، أو فعدلك إلى بعض الأشكال والهيآت.

فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾.

ما في **﴿ما شاء﴾** مزيدة، أي: ركبك في أي صورة اقتضتها مشيئته وحكمته من الصور المختلفة في الحسن والقبح والطول والقصر والذكورة والأنوثة والشبه ببعض الأقارب وخلاف الشبه.

**فإن قُلْتَ:** هلا عطفت هذه الجملة كما عطف ما قبلها؟ **قُلْتُ:** لأنها بيان لعدلك.

**فإن قُلْتَ:** بم يتعلق الجار؟ **قُلْتُ:** يجوز أن يتعلق بركبك على معنى: وضعك في بعض الصور ومكنك فيه، وبمحذوف أي: ركبك حاصلاً في بعض الصور ومحله النصب على الحال إن علق بمحذوف ويجوز أن يتعلق بعدلك ويكون في أي معنى التعجب، أي: فعدلك في صورة عجيبة، ثم قال: ما شاء ركبك. أي: ركبك ما شاء من التراكيب. يعني: تركيبًا حسنًا.

كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ﴿٩﴾.

**﴿كلا﴾** ارتدعوا عن الاغترار بكرم الله والتسلق به وهو موجب الشكر والطاعة إلى عكسهما الذي هو الكفر

---

(1) سورة الرحمٰن، الآية: 20.

(2) قال أحمد: حجة الزمخشري ههنا فارغة، فإنّ الآية إنما وردت في الكفار، بدليل قوله: ﴿كلا بل تكذبون بالدين﴾ ونحن نوافقه على خلودهم وانقطاع معاذيرهم، لا على أنّ تخليدهم واجب على الله تعالى بمقتضى الحكمة، فإن الله لا يجب عليه شيء ويجوز عقلاً أن يثيب الكافر ويخلده في الجنة، وبالعكس في المؤمن، ولولا = ورود السمع بإثابة المؤمنين وعذاب الكافرين فيتعين المصير إليه، لكان ما ذكرناه في الجواز والاحتمال، فإنّ الله عز وجل يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد.

(3) لم يخرجه الزيلعي.

(4) ذكره الثعلبي، ورواه الواحدي في تفسيرهما، وأبو عبيدة في كتاب: فضائل القرآن، زيلعي 4/167.

والمعصية. ثم قال: ﴿بل تكذبون بالدين﴾ أصلاً وهو الجزاء، أو دين الإسلام فلا تصدّقون ثواباً ولا عقاباً وهو شر من الطمع المنكر.

وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾.

﴿وإنّ عليكم لحافظين﴾ تحقيق لما يكذبون به من الجزاء، يعني: أنكم تكذبون بالجزاء.

كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿١٥﴾.

والكاتبون يكتبون عليكم أعمالكم لتجازوا بها وفي تعظيم الكتبة بالثناء عليهم تعظيم لأمر الجزاء وإنه عند الله من جلائل الأمور ولولا ذلك لما وكل بضبط ما يحاسب عليه ويجازي به الملائكة الكرام الحفظة الكتبة، وفيه إنذار وتهويل وتشوير للعصاة ولطف للمؤمنين. وعن الفضيل أنه كان إذا قرأها قال: ما أشدّها من آية على الغافلين.

وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ ﴿١٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾.

﴿وما هم عنها بغائبين﴾ كقوله: ﴿وما هم بخارجين منها﴾[1] ويجوز أن يراد يصلون النار يوم الدين وما يغيبون عنها قبل ذلك. يعني: في قبورهم. وقيل: أخبر الله في هذه الصورة أنّ لابن آدم ثلاث حالات: حال الحياة التي يحفظ فيها عمله، وحال الآخرة التي يجازى فيها، وحال البرزخ. وهو قوله: ﴿وما هم عنها بغائبين﴾ يعني: أنّ أمر يوم الدين بحيث لا تدرك دراية دار كنهه في الهول والشدّة وكيفما تصورته فهو فوق ذلك وعلى أضعافه، والتكرير لزيادة التهويل ثم أجمل القول في وصفه فقال:

يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾.

﴿يوم لا تملك نفس لنفس شيئًا﴾ أي: لا تستطيع دفعًا عنها ولا نفعًا لها بوجه ولا أمر إلا لله وحده، من رفع فعلى البدل من يوم الدين أو على هو يوم لا تملك، ومن نصب فبإضمار يدانون لأنّ الدين يدل عليه أو بإضمار انكر ويجوز أن يفتح لإضافته إلى غير متمكن وهو في محل الرفع. عن رسول الله ﷺ: «من قرأ إذا السماء انفطرت كتب الله له بعدد كل قطرة من السماء حسنةً وبعدد كل قبر حسنة»[2].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

## سورة المطففين مكية

وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾.

التطفيف: البخس في الكيل والوزن، لأنّ ما يبخس شيء طفيف حقير. وروي أن رسول الله ﷺ قدم المدينة وكانوا من أخبث الناس كيلاً فنزلت. فأحسنوا الكيل[3]. وقيل: قدمها وبها رجل يعرف بأبي جهينة ومعه صاعان يكيل باحدهما ويكتال بالآخر[4]. وقيل: كان أهل المدينة تجارًا يطففون، وكانت بياعاتهم المنابزة والملامسة والمخاطرة فنزلت. فخرج رسول الله ﷺ فقرأها عليهم[5] وقال: خمس بخمس. قيل: يا رسول الله، وما خمس بخمس. قال: ما نقض قوم العهد إلا سلط الله عليهم عدوّهم، وما حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الفقر، وما ظهرت فيهم الفاحشة إلا فشا فيهم الموت، ولا طففوا الكيل إلا منعوا النبات وأخذوا بالسنين، ولا منعوا الزكاة إلا حبس عنهم القطر[6]، وعن علي رضي الله عنه أنه مر برجل يزن الزعفران وقد أرجح. فقال له: أقم الوزن بالقسط ثم أرجح بعد ذلك ما شئت، كأنه أمره بالتسوية أولاً ليعتادها ويفصل الواجب من النقل، وعن ابن عباس: إنكم معشر الأعاجم وليتم أمرين بهما هلك من كان قبلكم: المكيال، والميزان. وخص الأعاجم لأنهم يجمعون الكيل والوزن جميعًا وكانا مفرّقين في الحرمين. كان أهل مكة يزنون، وأهل المدينة يكيلون، وعن ابن عمر أنه كان يمر بالبائع فيقول له: اتق الله وأوف الكيل فإنّ المطففين يوقفون يوم القيامة لعظمة الرحمان حتى إن العرق ليلجمهم. وعن عكرمة: أشهد أنّ كل كيال ووزان في النار. فقيل له: إنّ ابنك كيال أو وزان. فقال: أشهد أنه في النار. وعن أبيّ رضي الله عنه: لا تلتمس الحوائج ممن رزقه في رؤوس المكاييل والسن الموازين.

ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾.

لما كان اكتيالهم من الناس اكتيالاً يضرهم[7] ويتحامل فيه عليهم أبدل على مكان من للدلالة على ذلك. ويجوز أن يتعلق على بيستوفون ويقدم المفعول على الفعل لإفادة

---

(1) سورة المائدة، الآية: 37.

(2) ذكره الثعلبي، وابن مردويه، ورواه الواحدي في تفسيرهم، زيلعي 4/168.

(3) أخرجه ابن حبان في كتاب: البيوع (الحديث رقم: 4919)، وأخرجه الحاكم في المستدرك 2/33.

(4) رواه الواحدي في أسباب النزول، ص 25.

(5) قال الزيلعي غريب 4/172.

(6) أخرجه الحاكم في المستدرك 2/126.

(7) قال أحمد: لا منافرة فيه، ولا يجعل هذا القائل الضمير دالاً على مباشرة ولا إشعاراً أيضاً فيه بذلك، إنما يكون نظم الكلام على هذا الوجه، إذا كان الكيل من جهة غيرهم استوفوه، وإذا كان الكيل من جهتهم خاصة أخسروه، سواء باشروه أو لا، وهذا أنظم كلام وأحسنه، والله أعلم. والذي يدلك على أن الضمير لا يعطي مباشرة الفعل أن لك أن تقول: الأمراء هم الذين يقيمون الحدود لا السوقة، لست تعني أنهم يباشرون ذلك بأنفسهم، وإنما معناه: أن فعل ذلك من جهتهم خاصة.